

القيسي له العدل»:

ولدت قبل ١٢١ عاماً وكان معلمي الأول

هو والدي وهو أول من أسس مدرسة

كتاتيب في ضباء

أعد الحوار: أحمد بن مبارك الحارثي

زرناه في منزله العامر بعد رحلة علاجية في الأردن - متعة الله بالصحة والعافية - استقبلنا بكل ترحاب بعد أن تم ترتيب هذا اللقاء هاتفياً . يعد الشيخ رشيد بن محمد القيسي عالماً من أعلام القضاء في المملكة ، فقد عاش عمراً مديداً ما يقارب الـ (١٢١) سنة ، أفناها في الدرس ، والعلم ، والتعليم ، والقضاء ، وأعمال الخير . . ويعد من أعلام علم المواريث في العالم الإسلامي ، فقد برع في مؤلفه الهدية في شرح الرحبية الذي ضمنه جملة من المسائل العقدية ، فإلى ذلك الحوار الممتع .

## \* فضيلة الشيخ في البداية نود أن تحدثنا عن نشأتكم؟ وبداية مراحل طلبكم للعلم ومشايخكم؟ وأبرز من استفدت منهم؟

- بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ولدت عام ١٣٠٠ هـ تقريباً في بلدة ضباء أواخر العهد العثماني، ونشأت في بيت علم وصلاح وتقوى - ولله الحمد - أثر ذلك على حياتي في وقت كان التعلم فيه صعب المنال، حيث كان ذلك في العهد العثماني، فولدي هو الشيخ محمد بن سليمان بن أحمد القيسي، ينتهي نسبه إلى قبيلة قيس عيلان العدنانية، فبعد أن تنقل لتحصيل العلم ما بين الأزهر والمدينة المنورة، استقر به المقام في ضباء، فأسس أول مدرسة كتاب فيها في العهد العثماني، وقد برع - رحمه الله - في علم التوحيد والفقه، والفرائض، والنحو وعلوم متفرقة، وكان يلقي دروسه على المذاهب الأربعة، فهو معلمي الأول، واستفدت منه كثيراً، حيث حفظت القرآن على يديه في سن مبكرة.

كما درست عليه رياض الصالحين للنووي، والترغيب والترهيب للمنزري، وزاد المعاد وأعلام الموقعين لابن القيم الجوزية، وشرح سبط المارديني للرحبية مع حاشية البقري، وكذلك الفوائد الشنشورية في شرح الرحبية، ونزهة النظر في نخبة الفكر في مصطلح الحديث، هذه الكتب كان لها - ولله الحمد - أثر في نبوغي في سن مبكرة، وجميعها قرأتها على والدي - رحمه الله -.

## \* وماذا عن مشايخكم الآخرين؟

- بالإضافة إلى والدي استفدت ودرست أيضاً على الشيخ العلامة علي بن أحمد البنا من أهالي ضباء، المتوفى عام ١٣٥٠ هـ، واستفدت منه كثيراً في الاطلاع الواسع على كتب المذاهب الفقهية، وقد كان العلامة البنا آية في علم الفرائض، وكان - رحمه الله - يكثر عليّ طرح المسائل الفرضية والألغاز، مما كان له الأثر الكبير في تمكني من هذا العلم، - ولله الحمد والمنة -.

كما استفدت من علم الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن عقيل قاضي ضباء آنذاك، قرأت عليه كتباً كثيرة منها تفسير ابن كثير، وتفسير البغوي، وتفسير الجلالين، والترغيب والترهيب، ورياض الصالحين، والفرائض، ومجموعة التوحيد النجدية، وكتاب التوحيد، ولمعة الاعتقاد، والأصول الثلاثة، وكشف الشبهات، والمغني، والشرح الكبير كما درست على الشيخ ناصر بن محمد الوهبي، واستفدت منه كثيراً، فقرأت عليه كتباً مختلفة كذلك، منها الروض المربع، وعمدة الفقه، والمقنع، ودليل الطالب، وعمدة الأحكام، وبلوغ المرام، وجامع العلوم، والحكم وغيرها من هذه الكتب التي تعد كنزاً ومرجعاً مهماً في الكثير من المسائل والأمور الصعبة.

### \* وماذا عن بداية حياتكم العملية؟

- تعينت في محرم سنة ١٣٤٩ هـ معلماً في مدرسة ضباء عند والدي، حيث يعد مؤسسها ومديرها خلال الفترة العثمانية، وكان عدد الطلبة في ذلك الوقت قليلاً جداً، بل لا يذكر، وعند توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - كنت ما زلت في سلك التعليم، عملت فيه أحد عشر عاماً، ثم نقلت إلى كتابة عدل تبوك، ثم إلى ضباء، ثم إلى أملج، ثم تعينت قاضياً في عام ١٣٦٤ هـ، بعدها نقلت إلى مهد الذهب، وفي عام ١٣٧٦ هـ نقلت إلى محكمة حقل، حيث كنت رئيساً لها، وبقيت في هذه المحكمة لمدة اثنتين وثلاثين سنة، إلى أن أحلت إلى التقاعد في عام ١٤٠٨ هـ وكانت خدمتي ستين سنة إلا ستة أشهر منها (٤٤) عاماً وعشرة أشهر في القضاء والباقي في التعليم متفرقة في العهد السعودي وفترة الشريف وفترة العهد التركي.

### \* أمد الله في عمركم على طاعته، خلال هذه الفترة الطويلة في العمل في القضاء بماذا خرجتم؟

- الحمد لله أنه خلال مدة خدمتي للقضاء هذه الفترة الزمنية الطويلة لم ينقض لي - ولله الحمد - أي حكم شرعي، حيث إن كافة الأحكام الشرعية التي أحكم بها وتصل إلى محكمة التمييز بمكة المكرمة يتم المصادقة عليها، كما أن القضاء في المملكة العربية السعودية

قضاء مستقل ونزيه، وهذه نعمة من نعم الله على هذه البلاد، فالقضاء لا سلطة لأحد عليه، فالقضاء منفصل ولا يستطيع أحد أن يتدخل فيه، وهذا الشيء لمسته طوال فترة خدمتي في القضاء، ومنذ عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - القضاء مستقل، وكما أن القاضي لا يأتي للقضاء ويطلبه، وإنما يؤتى به، وهي أمانة عظيمة، وأدعو الله جلّ وعلا أن يعين زملائي الذين يمارسون هذه المهنة العظيمة، وأن يعينهم على أدائها وهم مؤهلون لأدائها.

### \* يعد فضيلتكم مرجعاً في علم الفرائض فما تعليقكم؟

- كما سبق، فقد تعلمت علم الفرائض على يد العلامة الشيخ علي بن أحمد البنا، حيث كان بارعاً في هذا العلم، وكان يطرح عليّ المسائل المعقدة، والألغاز الفرضية، ويشرف على حلها، حتى أنعم الله عليّ وتمكنت من هذا العلم، وقد ألفت كتاب الهدية في شرح الرحبية في هذا العلم، ولاقي القبول والاستحسان من العلماء وطلبة العلم، واستغرق شرحه معي مدة شهرين وميزته بالمسائل العنقودية التي اخترها ورأيت وضعها في الكتاب.

ونحمده سبحانه أن آلاف من طلبة العلم يحضرون إليّ من جميع مناطق المملكة لتعلم هذا العلم، كما أن بعض القضاة يرجعون إليّ في هذا العلم في حالة الاستفسار عن أي مسألة عالقة، ويقدرني الله بتلبية جميع الاستفسارات، وقد مضى لي أكثر من خمسة وثمانين عاماً وأنا أعلم الفرائض، وأسأل الله الفائزة للجميع.

### \* أخذ العلم من العلماء ومزاحمتهم بالركب أصل كبير في التحصيل العلمي، فماذا توجهون من يكتفي بأخذ العلم من الكتب؟

- يجب أن يؤخذ العلم من الكتب والمراجع والدراسة على العلماء، ومن يأخذ بالعلم من الكتب وحدها يكون غلظه أكثر من صوابه، لأنه لو وُجد غلط في الكتب لا يمكن أن يلحظه، لكن الأستاذ يلحظ ذلك الغلط وينبه عليه ويصوبه، فقد لاحظت بنفسني كتب فيها غلط، فالأخذ من العالم هو الصحيح والغلط يكون في الأخذ من الكتب فقط.

**\* ظهرت وسائل حديثة عبر الحاسب الآلي لقسمة الموارث ويستعين بها طلاب العلم لحل بعض المسائل، فما توجيهاتكم بشأن الاعتماد عليها؟**

- أرى أن تؤخذ هذه الحسبة من عالم ويفهم منه المسائل ، فهذه الوسائل الحديثة أنا لا استسيغها ، وأفضل طريقة هي تلقينه من قبل المشايخ والقضاة ، وهي أحسن وأجود طريقة ، كما أن المراجعة والمدارسة هي الأساس لتثبيت العلم .

**\* لكل قاضٍ قضايا تكون عالقة في ذهنه فما القضايا التي تذكرونها في هذا الشأن؟**

- الدولة - رعاها الله - لا تفرق بين غني وفقير ، أمير ومواطن عادي ، الكل سواسية ، والحادثة التي لا تزال عالقة في ذهني ، أن أحد المواطنين تقدم لي بشكوى ، وكان ذلك في عهد جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز - يرحمه الله - ، وكانت الشكوى ضد أمير حقل في ذلك الوقت ، حيث إن أمانة حقل مستأجرة منزل هذا المواطن ، ولم يتسلم هذا المواطن أجره منزله ، فتقدم بالشكوى لمحكمة حقل ، وكان هذا المواطن قد رفع كذلك شكوى لجلالة الملك فيصل بهذا الشأن قبل أن يتقدم للمحكمة ، فأمر جلالة الملك فيصل وعلى وجه السرعة أن يتم النظر في شكوى هذا المواطن ، فنظرت القضية وحضر أمير حقل بنفسه وتقابل مع هذا المواطن وحكمت لصالح المواطن وهذا الشيء يجسد مدى تلمس احتياجات وهموم المواطن من قبل قادة هذه البلاد الآمنة المستقرة منذ عهد جلالة الملك عبدالعزيز حتى عهد خادم الحرمين الشريفين .

**\* نرى مع فضيلتكم ختم قديم حدثونا عنه؟**

- هذا الختم عملته في مصر عام ١٣٣١هـ ، أي له ما يقارب ٩٠ عاماً أي قبل الحرب العالمية الثانية ، وهذا الختم كنت أختم به الصكوك الشرعية التي أحكم بها ، أو تخرج عن طريق محكمة حقل ، وما زلت أحتفظ بهذا الختم ، وكما ترى هذا الختم محتفظ بجودته ، كما أنه يوجد لدي ختم آخر عمل في المدينة المنورة عام ١٣٦٠هـ أي قبل واحد وستين عاماً .

## \* بحكم أنك أول قاضٍ في منطقة تبوك، وهي تزخر بعدد من القضاة الأفاضل فهل تلتقي بهم؟

- الحمد لله التقيت بكافة القضاة، وهم على اتصال دائم بي، وهذا ليس بغريب على أصحاب الفضيلة القضاة وهم دائمو السؤال عني وعن صحتي، ليس على مستوى منطقة تبوك، بل على مستوى المملكة، وهذه نعمة من الله، وأخص بالذكر فضيلة رئيس محاكم منطقة تبوك الشيخ عبدالعزيز بن صالح الحميد، وفضيلة رئيس محاكم منطقة تبوك المساعد الشيخ سليمان بن عبدالرحمن الربعي، وكافة قضاة المحاكم بمحافظة تبوك.

## \* عاصرتم مراحل مختلفة في سلك القضاء في المملكة، فما أبرز ملامح الاختلاف بين الوقت السابق والحالي؟

- في الحقيقة الاختلاف كبير، ففي وقت الأتراك كانوا يعتنقون مذهب أبي حنيفة، ثم صار الانقلاب سنة ١٣٢٦هـ على السلطان عبدالحميد الذي قام به مصطفى كمال أتاتورك، ثم قلبت الدولة من شرعية إلى علمانية، وألغوا الشريعة الإسلامية، وكذلك وقت الشريف كان القوي يأكل الضعيف، وليس هناك أحكام شرعية ولم تطبق الأحكام الشرعية إلا بعد أن جاء الملك عبدالعزيز آل سعود - يرحمه الله -.

وكان الناس في السابق أطيب خواطر، والقضايا قليلة جداً، وأثناء عملي في محكمة حقل كانت القضايا التي تصل للمحكمة عادية، وعادة ما تنتهي منذ وصول الأطراف، لأن أكثرها منازعات عادية بين الأهالي، وكانت تحل بأسهل ما يمكن وبشكل ودي في ذلك الوقت يرضي الطرفين.

## \* ما تعليق فضيلتكم على إصدار مجلة العدل؟

- هي فكرة طيبة وحسنة وممتازة، وهي تنشيط للقضاة والمهتمين، ويشكر على ذلك معالي وزير العدل والقائمين عليها، وعلى القضاة أن يدركوا أن المجلة مجلتهم، وأن عليهم أن يقرؤوها بدقة وتمعن، وأن يشاركون في إعداد بحوثها ومناقشتها، وأن تكون رابطة للقضاة فيما بينهم.